الظواهر الأسلوبية في القصة المصرية القصيرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين "دراسة فنية"

هالة محمد أبو حلقة أحمد أبو عمار (*)

مقدمة:

اعتمد البحث على المنهج الفني، لتوضيح عدد من الظواهر الأسلوبية الساخرة (التصوير الكاريكاتوري- الحلم- المفارقة- التناص) والتي عبر من خلالها على وضع بلادهم المتردي والتي ساعدتني كثيرًا على توضيح النقص الموجود في هذا المجتمع آنذاك والتدهور الذي لحق كل شيء.

أما الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا البحث:

١- أهمية مثل هذه الظواهر ودورها البارز في التعبير عما يجول بداخل هؤلاء الكتاب.

٢- كون هذه الظواهر الأسلوبية التي عبر من خلالها الكتاب عن الفساد الذي يعج به هذا الواقع وعن السلبية المتمركزة في هذه الشخصيات، كما بينت قدرتهم الفنية في استعمال مثل هذه الظواهر داخل عملهم القصصي، فالتصوير الكاريكاتوري عبر عن سخريتهم من الشخصيات القابعة في هذا المجتمع، وساعد الحلم في بيان الوضع المزري لهذا البلد آنذاك كما كان للمفارقة دورًا كبيرًا في بيان التناقضات التي كانت موجودة بالمجتمع والتي ساعدت على تعرية الشخصيات، كما وظفوا الموروثات ولم يغفلوا عنها فوجد التناص الديني والشعري والتناص بالأمثال ليسخروا بالواقع بكل ما فيه.

أهداف الدراسة تتمثل في الآتي:

١- بيان جماليات النصوص القصصية موضع الدراسة.

٢- إبراز قدرة هؤلاء الكتاب في التنويع بين الظواهر الأسلوبية المختلفة وبراعتهم في استخدامها من خلال أعمالهم القصصية.

وجاء البحث في أربعة مباحث تليها الخاتمة وأهم المصادر والمراجع، كالآتي:

المبحث الأول: التصوير الكاريكاتوري.

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [تجليات السخرية في القصة المصرية القصيرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين (دراسة موضوعية فنية)]، تحت إشراف: أ.د. أحمد يوسف خليفة – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. زياد محمد عبد العال الجبالي – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

المبحث الثاني: الحلم.
المبحث الثالث: المفارقة.
المبحث الرابع: التناص.
وفيما يلي عرض لذلك.

المبحث الأول :التصوير الكاريكاتوري :

من الظواهر الأسلوبية التي لجأ إليها هؤلاء الكتاب التصوير الكاريكاتوري، فهي ظاهرة عمدوا من خلالها إلى المبالغة في عرض المسخور منه ، فهذه الظاهرة ، وهذا الأسلوب (يقف عند جوانب الضعف في جسد شخص أو في وجهه ويكبرها كأنما يريد أن ينمي الضعف أو العيب الذي يكمن فيه) [1]. ففي تقديمه " للشيخ زعرب" تجده يصفه بصورة بشعة ؛ لينال منه ، ويحقر من شأنه ، فقال الراوي ساخرا :

(قبل أن أقص عليك قصته... تعال معي نجول جولة في وجهه رويدًا رويدًا حتى لا نضل بين الأخاديد والتجاعيد والوهاد والنجاد... لنبدأ من فوق لتحت ... من أعلي قمة له حيث يقوم طرف زر بلا زر.. قصير أشبه بعقب السيجارة ... يعتلي طربوشًا... ليس به من السمات الطرابيش إلا هيكله المنهار الجوانب المطبق الجدران... أما اللون فأسود أغبر، تكون من خليط من تراب وعرق، ولنهبط بعد ذلك إلى وجهه، فنستقر على جبينه برهة... حيث يصادفنا أول نتوء في منتصف الجبين.. نتوء أشبه بكاللو وارم منتفخ.. رفعت عنه حافة الطربوش التي بدأ من أسفله شئ أشبه بحرف طاقية بيضاء أو منديل رأس.. يعصب به الرجل رأسه حتى لا يكبس ذلك الطربوش على نافوخه... وتمر بالنتوء البارز أخاديد متعرجة متوازية تنحدر يمينًا وشمالًا في جبين الرجل حتى تصل إلى الأذنين... يقطعها من أسفل أخدودان رأسيان يمران بين العينين ويستقران على أعلى الجبهة في وجه الرجل... إن هذا البروز هو زبيبة الصلاة... وآية الورع والتقوى... ولنهبط بين العينين فنستقر على أرنبة الأنف ولنقلب البصر ذات اليمين وذات اليسار بين العينين والأذنيين، فأما الأذنان فعريضتان... كأنهما جناحا خفاش أو أذنا حمار... وأما العينان فمن الجور أن نسيمهما عينين... فهما لا تعدوان أخدودًا أكثر عمقا يتمم أخاديد الجبين، ولولا

(1) نبيل راغب ، الأدب الساخر ، ص ١١٠.

ارتجاف في الجفن بين آونة وأخرى ، ولولا أن تعودنا أن نجد عينين في هذا المكان من الخلقة الأدمية لما اعترفنا بعيني الر جل ، ولما أحسسنا لهما وجود!... أما وقد توقفنا أمامهما واعترفنا بوجودهما... فليس هناك بد من التمعن فيهما والتحقق من أوصافهما... الرموش أو بقايا رموش دائمًا مسبلة والجفون مغلقة مطبقة... فإذا ما تركنا العينين إلى الأنف وجدنا أنفه هيئة ضخمة محترمة... تشغل من فرط عرضها وضخامتها ثلثي مساحة الوجه... فإذا هبطنا من الأنف وجدنا أنفسنا قد استقررنا فجأة على الشفة العليا أو بتعبير أصح الحافة العليا للفم... دون أن نعبر المسافة المفروض أن توجد بين الأنف والشفة التي ينبت فيها الشارب في الوجوه الآدمية الآخرى ويعلم الله إذا كانت لتلك المنطقة المستترة وجود في وجه الرجل... أم لا وجود لها فإن طرف الأنف قد تدلى حتى أخفى ما وراءه... فبدا شارب الرجل وكأنه قد تدلى من طاقتي أنفه واختلط بذقنه البيضاء الشعثاء الهابطة من شحمتي الأذنين إلى منتصف الصدر...)[1].

فنقل لنا الراوي الملامح الخارجية " للشيخ زعرب " مكبرا ما يحتاج إلي تصغير، ومصغرا ما يحتاج إلي تكبير، لا لشيء سوى السخرية من ملامحه الظاهرة معتمدًا في ذلك على التصوير الكاريكاتوري ، فمن خلال الصفات القبيحة التي ألحقها به الراوي ، اتضح لنا قبح (الشيخ زعرب) ظاهريًا ، وهذا ما وجدناه في النماذج التالية .

وفي تقديمه للمعلم نسر ، يقدمه ساخرا من هيئته الخارجية ، قائلا:

(رجل سمين قصير القامة منتفخ الأوداج أصلع الرأس لامع البشرة يبدو وكأنه عجل صغير عد للذبح) [2].

فهذه الصفات تبين دمامة هذه الشخصيات ، وقبح منظرها .

وفي تقديمه لأم نجية، يقول الراوي ساخرًا منها:

(ومن يكون الجنس الخشن إذا لم تكن أم نجية؟! هذا الوجه " القرودي" ذو العينين الضيقتين والأذنيين الكبيرتين والأنف المفرطح والشفة العليا العريضة والسفلى المدلاة والأسنان المتناثرة والعنق الغليظ القوي المعروق المركب على

(1) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ،ص ١١٧، ١١٨.
(2) محمود السعدني، خوخة السعدان ص ١٢٢

جسد صلب متحجر (مقلحف)... وهاتان الذراعان المفتولتان والساقان العجفاوان اللتان تستطيع أن تميز تركيبهما عضلة عضلة وعرقًا عرقًا وهي تتحرك وراء طبقة الجلد السمراء الرقيقة)[1].

فخلع عنها صفة الأنوثة بقوله (الجنس الخشن)، ليس هذا فقط بل جعلها دميمة الخلقة بنقله لملامحها الخارجية معتمدا علي التصوير الكاريكاتوري (الوجه القرودي - العينان الضيقتان - الأذنان الكبيرتان - الأنف المفرطح- الشفة العليا العريضة السفلى المدلاة - الأسنان المتناثرة -...إلي غيرها من الصفات القبيحة) .

وفي وصفه لمدير العتبة (رئيس والد سامية في العمل) ، يقول ساخرا :

(كان الرجل سمينا ، حليق الذقن والشارب ، له بطن منتفخة تحت جاكتة سوداء ، وله رأس مستدير ، وعنق غليظ ، ووجه صامت مصنوع من الشمع) [2].

فسخر من هذا الرجل برسمه للملاح الخارجية له بصورة منفرة بجعله (سمين – له بطن منتفخة – له رأس مستدير – عنق غليظ – وجه صامت مصنوع من الشمع).

وفي تقديمه لعبد السيد أفندي رسم لنا صورة بشعة لهذا الرجل من خلال ذكر الملامح الخارجية له، فقال الراوي ساخرا منه :

(كان قصير القامة يشبه وجه وجه قرد طيب ولم يكن فيه ما يجذب اهتمام النساء عمومًا فهو خجول، ثقيل الحرص، بطئ الفهم، ينطوي على نفسه، لم يتزوج ولم يفكر في الزواج رغم وصوله الثالثة والخمسين[3]. إذ جعله دميم الخلقة، خاوي العقل، منطويًا على نفسه.

المبحث الثاني : الحلم

فالحلم وسيلة فنية تعين المبدع على عمله ، بل قد تكون عماد العمل ، فهو (من نتاج اللاشعور ويقتحم طريقه رغم كبت العقل ورقابته)[4] ، ولجأ إليه العديد من الكتاب (في الأوقات التي يعاني فيها الإنسان من الإحباط والتوتر والأزمة النفسية) [5]، فمن خلال الحلم يتخلص الإنسان من (الفضاءات الضيقة ؛

---

(1) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ، ص ١٨١.
(2) يحيي الطاهر عبد الله ، الأعمال الكاملة ، ص ١٧٦.
(3) أحمد بهجت، ثانية واحدة من الحب ، ص ١٢٢
(4) عادل عوض ، تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩م، ص٢٦٠.
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦١.

لينطلق نحو الفضاء الواسع، فعندما لا تسمح ظروف الواقع بالانفلات والتحرر من الوضع الراهن تغرق الذات في الحلم) [١]، فالواقع المؤلم هو الذي يدفع بالشخصيات نحو الحلم .

وهدف الكاتب من استخدام الأحلام هو(التسلل إلى المنطقة غير الواعية من النفس ، ومعرفة دخائلها ، وخير وسيلة لاقتحام هذا العالم الخفي هو استخدام الحلم) [٢].

كما أنه لابد أن يتوافر للكاتب الذي يستخدم هذا التكنيك شيء من علم النفس؛ ليتحكم في هذه الأداة ، ويحسن توجيهها ، وكما عمدوا إلي توظيف الأحلام، عمدوا أيضًا إلى توظيف الكوابيس باعتبارهما(وسيلة تنفسية مساندة لإزاحة الواقع المعين الذي يتبناه حدث القصة أو شخصيتها المركزية) [٣].

وتأخذ هذه الأحلام التي وظفها الكتاب في هذه القصص وجهتين على أساس نوع الحلم وطبيعته (وهاتان الوجهتان للحلم صدى لثلاث قوى : أولها رغبة الحلم بمعنى أن الحالم قد رغب قبل النوم في شيء محبب أو في نسيان همه ، وثانيهما خوف الحالم من شيء ما أو شخص معين ، فيتجسد له في صورة مزعجة تثير له الخوف ، وثالثهما أن الحلم يكون نتيجة لاستحضار الحالم إحدى ذكرياته التي تخفف من متاعب يمر بها في الواقع الحاضر)[٤].

وستتناول الدراسة هنا عبر إزاحة الواقع بالحلم المنامي، وإزاحة الواقع بحلم اليقظة.

- **إزاحة الواقع بالحلم المنامي :**

وهذا ما نراه قد تحقق جليًا في قصص هؤلاء الكتاب، ففي قصة "الرجل والأرنب" تجد أن عبد الله السروجي ظل يحلم بأن يطعم يومًا ما أرنبًا ؛ لكي يشفى من مرضه، فيقول:

(١) عبد اللطيف خروبة، وظيفة الحلم والسخرية في القصة العربية القصيرة، مجلة الوعي الاسلامي ، ع ٥٥٩ ، السنة ٤٩، ٢٠١٢م، ص ٥٢.
(٢) عادل عوض ، تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية ، المرجع السابق، ص٢٦١.
(٣) حسن البنداري ، لعبة الضمائر دراسات في النص القصصي من عام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٩٦م، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١١م، ص١١٢.
(٤) المرجع السابق ، ص١١٣.

(منذ شهرين وأنا أحلم بالأرنب يخيل إلى أنه فيه الشفاء".)[١] .

فهذا الحلم بين لنا الوضع الاجتماعي المتردي لهذا الرجل ، وحالة الفقر التي كان يحياها الفلاح البسيط المطحون آنذاك ، فليس بمقدوره توفير لقمة العيش ؛ كما صور لنا من خلاله هذا الحلم تردي الواقع من حوله وسوء أحواله.

وفي قصة " الكابوس" رأى الزعيم الطاغية في منامه ، وكأنه في يوم الحساب ، وأخذ السجان الصغير يستطرد له كل ما فعله في دنياه من شرور ؛ لمعاقبته عليها، ومن شدة وقع الأهوال والمصائب التي ارتكبها في دنياه، وعدم قدرته على ري عطشه في هذا اليوم ، زعم أن ما رآه كان كابوسا، لكونه لا يريد تحقيق ما رآه في منامه علي أرض الواقع ، فقال الراوي معبرًا عن هذا:

(شعر بيد حانية تهزه في رفق لكن بإصرار... تحرك ، وأخذ نفسًا عميقًا هب جالسا ، وفتح عينيه ، وهو لا يكاد يصدق ..إنها غرفة نومه زوجه إلى جواره تنظر إليه في دهشة وحيرة كان يرتجف من الخوف ، وهو شيء لم تعهده فيه من قبل ، وأخذ يهذي بكلمات مبهمة تشي بالكثير مما بداخله ، وهتفت محملقة ؛ ماذا بك؟! تمالك نفسه ، وقال: "كابوس، يا له من كابوس!!)[٢].

فربما أراد الكاتب أن يريه هذا الكابوس كما وصفه الزعيم وسماه ؛ ليتخلص من أفعاله المشينة، وليغير من وضعه للأفضل ، لكن مع تقدم أحداث القصة ، تجد النقيض تماما إذ أنه لم يتعظ، ولم يفق من غيبوبته ، واستمر على وضعه السيء، وعلى أفعاله المشينة ، فتجده يقول:

(وليمضٍ في الطريق.. ومن البلاهة أن يستسلم لهواجس الأحلام وأضغاثها ، أو يخرج عن النهج الذي خطه بنفسه ؛ بسبب كابوس مزعج مقزز مهما كانت بشاعة ذلك الكابوس ، ولولا أنه لا يؤمن بالخرافات لظن أن ذلك الكابوس كان بفعل فاعل من أولئك الأعداء الذين يسخرون الجن ؛ لأغراضهم الدنيئة ، وورد على ذهنه خاطر غريب ، لماذا لا يصدر أوامره لرجال المخابرات أن يتحروا عن هذه الفئة ، ويقبضوا عليهم ، ويصادروا ما بحوزتهم من كتب عن الجن والسحر ، وتحضير الأرواح؟!)[٣] .

---

(١) نجيب الكيلاني ، الكابوس ص ١٢٩.
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩.
(٣) نجيب الكيلاني ، الكابوس ،ص ٤٠، ٤١.

كما وجد توظيف الحلم في قصة "رجل في الزحام" إذ يحلم سيد عبد البارئ بخروجه من السجن الذي دخله رغمًا عنه ، فهو لم يرتكب شيئا حتى يسجن، لكن بسبب جبروت السلطة ،وسطوتها ، واتهامها له بما لم يقترفه دخل السجن ، كل هذا كان سببا في استخدامه لأسلوب الحلم ؛ للخلاص من واقعه المتأزم ، فكان الحلم بمثابة التنفيس عما يشعر به من اضطهاد ،وعذاب من قبل السلطة الجائرة راغبًا في الخروج من السجن ، فقال الراوي:

(لكن اللافت للنظر أن بعض الذين أخذوهم من العنبر قد عادوا إلى بيوتهم ، وهذا شيء يبشر بالخير ، ومعنى ذلك أن هناك احتمالًا كبيرًا بأن يكتشفوا أن سيد لا دخل له في الثور ولا في الطحين ولا في العير أو النقير ، ومن ثم فقد يأتي العسكر ذات مساء ، وقد أظلمت الدنيا؛ ويقول له:

" تعال يا سيد.. أنت حر.. اذهب لأمرأتك فاطمة وأولادك ... "

ويظل هذا الحلم الجميل يراوده في اليقظة وفي المنام)[1].

كذلك وظف الحلم في قصة " جنة رضوان" :

(أنا حلمت حلم النهارده ربنا يجعله خير ... وهتف الكل في نفس واحد:

- خير إن شاء الله

وعاد المعلم رضوان يقول في نفس الصوت المنغم الممطوط:

- خيرًا حلمت إن واحد جه صحاني من النوم وقالي قوم يا رضوان قلتله على فين...قالي اللي خالقك عايزك قولته سبحان الله لا إله إلا الله.. وبلا سبب أو مبرر هتف أحد الجالسين على الفور:

- يا سلام يا معلم يحيي العظام وهي رميم

- أمال، قدرة، الغرض أنا قمت معاه على طول... فضلنا ماشيين مع بعض لما صادفنا باب أخضر دخلنا فيه

وقطع الحديث رجل آخر؛ هتف وجسمه كله يهتز من النشوة

- الله أكبر...ربنا يوعدنا حاكم الباب الأخضر ده خير

وفي ثقة واطمئنان قال المعلم رضوان:

([1]) المصدر السابق، ص١٠٣.

- أمال ... الغرض دخلنا الباب الأخضر بصيت لقيتلك جناين على كل لون ورد وزرع وخضرة ترد الروح وفواكه من كل صنف مالهاش سعر... وتفاح أمريكاني من اللي كان بيجي هنا قبل الحرب ... ورد شاب صغير كان يجلس مع الجمع المحتشد حول الشيخ رضوان :

- يا بخت اللي عاش قبل الحرب، ده أبويا بيقول إن العشر بيضات كانوا بقرش واحد)[1].

صور لنا الكاتب من خلال الحلم الواقع المزري، والوضع المتردي الذي يعيشه فيه الناس آنذاك بعد الحرب، وما سببته هذه الحروب من دمار وخراب، فكان الحلم هنا بمثابة المتنفس لهذه الشخصيات، ليخرجهم من حالة الضيق والملل التي يشعرون بها ؛ نتيجة لغلاء المعيشة وارتفاع الأسعار بعد الحرب .

كما ساعد الحلم في مواضع أخرى على نمو الأحداث وتطورها، وهذا ما وجدناه ظاهًرا في قصة " الحاج قطة" :

(وفجأة قال الشيخ مبارك في صوت عميق:

- يا عويس... يبدو لي أن أجلي قد قرب

ونظر إليه عويس في فزع وقال مأخوذًا:

- لا تقل هذا الكلام يا سيدنا الشيخ ... ربنا يعطيك طولة العمر

وهز الشيخ مبارك رأسه في صمت ، وقال في إصرار

- أنا أعرف ما أقول.. إن أحلامي لا تخطئ قط ، لقد زارني في منامي الحاج "قطة" ، وكان يرتدي جلبابا أبيضا ويشع من عينيه بريقا خاطفا؛ وقال لي: يا شيخ مبارك إني في حاجة إليك ، فقلت : إني خادمك وطوع أمرك ، فقال : إني أريدك أن تصعد معي...فسألته..

- متى؟

- الآن.. هل لديك مانع؟

وهممت أن أجيبه "كلا" ، ولكنني تذكرتك... ثم إن هناك أمرًا أجل من هذا وأخطر شأنًا وهو أنني يجب ألا أرحل قبل أن أترك خليفة من بعدي...

(1) محمود السعدني ، خوخة السعدان ص ١٧٧.

وبحثت في ذهني عن إنسان في القرية يصلح لخلافتي وأخذت أستعرض أهل القرية واحدًا واحدًا.

الشيخ زينهم ؟ منافق.. كذاب أشر.. الشيخ عتريس؟ شر منه .. الشيخ فضل؟ أحمق مأفون ... على أبو المعاطي؟ زير نساء ...

وفجأة وجدتك تقفز إلى ذهني شعرت باسمك يتخذ مكانه على طرف لساني، وقلت له:

- **عويس**
- **عويس.. يصلح لخلافتك؟!**
- **عويس، الحمار الأبله الأبكم، يصبح خليفة للشيخ قطة؟! ما هذا بحديث عقلاء.. قل شيئًا آخر...**

وهكذا يا شيخ عويس لابد أن تعد نفسك ؛ لأن تتخذ موضعي بعد الرحيل لكن يا سيدنا أنا معرفش أفك الخط

يا له من حمار كسول... ما ضره لو كان اتخذ مجلسه بين التلاميذ ، فهتف معهم زين فتحة زا...)[١] .

فصور لنا فساد المجتمع بطغيان بعض الظواهر السيئة الموجودة فيه كالنفاق والكذب والحماقة وغيرها من الظواهر، والمتمثلة في هذه الشخصيات التي تناولها (الشيخ زينهم ؟ منافق.. كذاب أشر... الشيخ عتريس؟ شر منه .. الشيخ فضل؟ أحمق مأفون ... على أبو المعاطي؟ زير نساء)، وانقلاب الأوضاع بوضع بعض أفراد المجتمع في غير موضعها، إذ جعل (الشيخ مبارك) عتريسا الخادم الأمي وريثه في الدور الذي كان يقوم به ووريثه لهذا المكان.

كذلك تجده أيضًا في قصة "عبد ربه الصرماتي" ، فقد كان الحلم شاهدًا على تطور الأحداث ونموها : (كنت طوال الطريق أفكر في حلم رأيته.. وأنت تعرف أن أحلامي لا تخيب أبدًا.. ولذا كنت شديد الوجوم منقبض الصدر... رأيت في الحلم أنى سائر على شاطئ بحر في ليلة معتمة ، وفيما أنا سائر خيل لي أني أسمع أصواتًا جميلة ، وأنغامًا حلوة كأنها آتية من وراء البحر ، وتوقفت أنصت مرهفًا أذني محاولًا تجميع النغمات... ولكن مصدرها كان بعيدًا، وكان معظمها

(١) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب ، ص ٢٣٣,٢٣٤.

يتبدد مع النسيم ، فلا يصل إلي منها إلا أجزاء متقطعة كأنها رائحة الشواء.. ، وظللت أسبح وأسبح والنغم يزداد اقترابًا وتزداد معالمه وضوحًا ... ، ولم يطل بي التردد حتى عزمت على الاتجاه إلى الغريق، فإما أن ننقذه أو نهلك معًا... وأخذت أضرب الماء بيأس حتى عزمت على الاتجاه إلى الغريق ... ولدهشتي تبينت أنها خالتي نفيسة ، وصحت بها مطمئنًا أني عبد ربه. وسألتها أن تتمالك وأني سأنقذها، وأعود بها ولكنها مدت يدها وخلعت منديلًا على رأسها وأعطته لي، قائلة:

- خذ هذا المنديل فإنه سيساعدك في بلوغ الربوة... كانت قواي قد خارت تمامًا... وأمسكت بطرف المنديل فإذا بالريح تنشره وإذا به يكبر ويتسع حتى أضحى كأنه قلع مركب... كان حلمًا عجيبًا)[1].

فعبر الحلم عن مخاوف "عبد ربه" ، ووساوسه من موت خالته نفيسة، وهذا ما وقع مع تقدم أحداث القصة، إذ يقول: (وجهزت لي الغداء ... وجلست تطعمني .. وبعد الطعام ... ماتت)[2].

فكان الحلم بمثابة استباق لما سيحدث لاحقًا.

- إزاحة الواقع بحلم اليقظة:

وهذا ما تحقق في قصة " خوخة السعدان" ، إذ يقول الراوي : (وليكن حل المشكلة من هنا... من المدارس الأجنبية... فإنها لو لاقت وسيلة لإقناع هؤلاء الناس بضرورة الالتحاق بالمدارس بالأجنبية إذا لضمنت تخريج جيل جديد من هؤلاء الفقراء يعرف كيف يتحدث وكيف يأكل وكيف يحب وكيف يتصرف برشاقة... وعندئذ سوف تصفو لهم الحياة. واستيقظت شوشو من أحلامها على حائط عريض يسد الطريق)[3].

فعبر الراوي من خلال هذا الحلم عما تفكر فيه "شوشو" ؛ لتحسين أوضاع هؤلاء الفقراء، وعن حالة التناقض الشديدة الواضحة من خلال حديثها إذ كيف يذهبون لمثل تلك المدارس وهم لا يجدون قوت يومهم.

---

(1) المصدر السابق ، ص٢٢٠:٢٢٢ .
(2) يوسف السباعي، الشيخ زعرب وآخرون، ص ٢٢٣.
(3) محمود السعدني ، خوخة السعدان ص ١٥.

ومنه أيضًا : (كان كل ما أحلم به وأتمناه هو المشي على كورنيش النيل وفي جواري بنت جميلة) [١].

فعبر من خلال "حلم اليقظة" عن أماني عم أمين ، ومطالبه التي كان يتمنى حدوثها في حياته؛ متحسرا عما صار لكورنيش النيل ، إذ تم القضاء عليه ، ببناء فنادق شاهقة الارتفاع مكانه.

ومنه أيضًا: (إن الجو بعد أسيوط أرق منه في داخل الصعيد ، والخير هنا أكثر ، والناس أنظف ، والنساء أجمل ، ولونهن أفتح من اللائي في الصعيد ، و يا خرابك يا رشوان لو وقعت في واحدة منهن عندها مال قارون ، وعمارات مثل عبد المعبود ، ويا خرابك يا رشوان لو حدث اللي في بالك ولماذا لا يحدث؟! والواد العدمان صموئيل ماتت في دباديبه خواجايه من أمريكا ... أحلام جميلة قد تتحقق) [٢].

فتمنى تغيير واقعه ووضعه المزري للأفضل من خلال حلم اليقظة بزواجه من إحدى الخواجات الأثرياء ؛ لتغدق عليه المال ، وتغير من واقعه المتأزم ، الذي دفعه للذهاب إلي القاهرة عبر المركب للعمل ؛ لجلب المال لأهل بيته الذين يعانون الفقر .

وأحلام اليقظة أتي بها الكتاب ؛ لتعبر عن آمال الشخصيات وأمانيها في تغيير واقعها المتأزم للأفضل .

المبحث الثالث: المفارقة

عرف أرسطو المفارقة بكونها (الاستخدام المراوغ للغة وهي عنده شكل من أشكال البلاغة يندرج تحتها المدح في صيغة الذم والذم في صيغة المدح)[٣] ، وعند محمد العبد (نوع من التضاد بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى غير المباشر)[٤] ، أما على عشري يعرفها بكونها (تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر ؛ لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض) [٥] ،

---

(١) أحمد بهجت ، ثانية واحدة من الحب ، ص ١٢٢.
(٢) محمود السعدني ، خوخة السعدان ، ص ١٩١.
(٣) نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق ، (سلسلة الدراسات النقدية)، القاهرة : منشورات دار غريب ، د.ت ص١٨٧.
(٤) المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م ص١٥.
(٥) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ط٥، ص١٣٠.

وعند سيزا قاسم (طريقة لخداع الرقابة حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة)[١] ، ويعرفها صمويل جونسون بقوله (طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى فيها مناقضا او مضادا للكلمات) [٢]، بينا يراها دي سي ميويك (حدوث ما لا يتوقع) [٣].

ولابد أن نفرق بين السخرية والمفارقة : فالسخرية (هجوم متعمد على شخص بهدف سلبه كل أسلحته وتعريته من كل ما يتخفى فيه ويتحصن وراءه)[٧] ، أما سخرية المفارقة فلا تعني الهجوم ، كما أنها لا تتعمد تعرية الشخص المهاجم من أسلحته بهدف كشف حقيقة داخله ، وإنما يظل صاحب المفارقة على خلاف ذلك شريكاً كاملاً للضحية في مأساتها ومحنتها)[٨].

وللمفارقة عدد من الوظائف ، فمنها (تساعد الأديب صانع المفارقة على التحرر، واتخاذ المفارقة لحظة كشف لمتناقضات الحياة التي لا يستطيع أن يصل فيها الإنسان إلى حقيقة واضحة ؛ لتأتي المفارقة ، وتقرع المتناقضات بعضها ببعض ... وتساعد الكاتب على المراوغة فتسخدم على السطح القول السائد) [٤].

لذا اتخذها هؤلاء الكتاب ؛ لتعرية الأشخاص والمجتمعات والكشف عن الزيف الذي يعج به الواقع ، وبمطالعتنا لنصوص هؤلاء الكتاب ، نجد أن المفارقات الساخرة شملت العناوين والشخصيات والأمكنة والأزمنة والأحداث .

- **مفارقة العناوين كـ (الرقصة المباحة – السماء السوداء - لعبة زوجك – خوخة السعدان – الانجليزي الحر) .**

الرقصة المباحة : فالرقص ليس بمباح على الاطلاق ، إذ ليس هناك رقصة مباحة ،وأخرى غير مباحة ، ولكن الكاتب أطلق على عنوان القصة "

---

(١) المفارقة في القص العربي المعاصر ، مجلة فصول م٢، ع٢، ١٩٩٥م، مارس ١٩٨٢م، ص ١٤٣،

(٢) خالد سليمان ، نظرية المفارقة ، مجلة أبحاث اليرموك، مج٩ ،عدد٢، الأردن،١٩٩١م، ص ٥٧.

(٦) المفارقة وصفاتها تر: د. عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، بغداد :دار المأمون للنشر، د.ت ،ص٤٢.

(٧) نبيلة إبراهيم ، فن القص بين النظرية والتطبيق، ص ٢١٠.

(٨) المرجع السابق ، ص٢١٥.

(٤) أ.د صالح بن عبد الله الخضيري ، المفارقة في النثر العباسي ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها ع٩ ، نوفمبر ٢٠١٢م ، ص ٢٥٢.

الرقصة المباحة " ليحدث نوعاً من المفارقة من خلال العنوان ، إذ جعل رقصة الغريب مباحة مع الغجر، وعبر عن هذا بقوله ساخرا :

(ارقص يا غريب : رقصتك ويا الغجر مباحة .

رقصتك وسط الغجر مباحة .) [١].

السماء السوداء : فالسماء تكون صافية ، ووصفه لها بكونها سوداء ؛ للمفارقة ، إذ جعل الكاتب السماء سوداء بكثرة الغربان التي انتشرت في الفضاء ؛ إذ أنها أخذت تلتقط من جثث القتلى الملقاة على قارعة الطريق ، التي خلفتها الحرب ، ثم تعود محلقة نحو السماء ، فأحدثوا بوجودهم في الفضاء ، وبتجمهرهم في السماء لونا أسودا ، فعبر الراوي من خلال هذا المشهد عن كثرة القتلى التي سببتها الحروب ، فقال الراوي :

(وعندما رفع بصره إلى أعلى رأي السماء وقد اسود لونها تماماً كانت هناك مظلة من الغربان .. ملايين الغربان لا يعرف من أين جاءت ، ولا كيف جاءت تصفق بأجنحتها في الجو .. وهي هابطة نحو الأرض لتلتقط من الجيف المنتشرة على الرمال قطعاً ، ثم تعود إلى التحليق من جديد) [٢].

لعبة زوجك : من المعروف أن اللعب من اختصاص الأطفال ، ولكن جعله من خلال هذا العنوان " لعبة زوجك " من اختصاص " الزوج ؛ ليثير سخريتنا بإحداث المفارقة ، وعبرت (الراوية) عن هذا بقولها :

(وعادت سهلة تردد اكتشفي هواية زوجك شاركيه اهتماماته) [٣].

خوخة السعدان :

إذ وصف الراوي ذلك المكان الذي يعيش فيه هؤلاء الفقراء بكونه (خوخة) للدلالة على ضيقه وصغره ، ونسبه لـ (السعدان) ؛ لإقامة المفارقة ، إذ كيف يكون هذا المكان الضيق لإنسان سعيد ، فهذا المكان يضم عددا من الفقراء يُرسم على وجوههم ملامح الكآبة والحزن ؛ لضيق حالهم ، وفقرهم الشديد ، وقالت شوشو واصفة لهذا المكان (خوخة السعدان) :

(١) يحيي الطاهر، الأعمال الكاملة ، ص ٢٠٩.
(٢) محمود السعدني ،خوخة السعدان ص ٩٨.
(٣) أحمد رجب، الحب وسنينه ص ١٤٠، ١٤١.

(وامتلأ قلب شوشو بالخوف عندما هلت على خوخة السعدان ، ليس هذا المكان بشارع ، ولا بحارة ، ولا بزقاق ، الوصف الصادق له أنه خرم في الحي ، وهل من المعقول أن أحدا من الأحياء يعيش في هذا المكان) (١).

- مفارقة الأسماء كـ (فاطمة – حسان - شملول – محمود – حسن – سالم) ، وهذه الأسماء جاء معناها مخالفاً لمرادها في القصة ؛ لإحداث المفارقة ، وهذا ما أشرت إليه سابقا ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

- سالم :

أي الشخص السالم من العيوب والأمراض ، وسالم في القصة كان يعاني معاناة نفيسة شديدة ؛ لعدم قدرته على الانجاب ، وعبر عن هذا الطبيب بقوله :

(أن حالته ميؤوس منها .. تلك هي الحقيقة) (٢).

- مفارقة الأزمنة :

تتجلى المفارقة هنا عبر التلاعب الواضح بالأزمنة ، فقال الراوي ساخرا من أهل النجع :

(ظلوا يعملون في دأب عشرين أو خمسين عاماً أو ألف عام) (٣).

ومنها أيضاً قول الراوي :

(إن كفاحهم في المليون عاماً الماضية لم يذهب هدراً) (٤).

فاتضح لنا عدم الدقة في تحديد المدة التي قضوها في عمل رسول لفاتنة الجنوب ، كما أطال المدة التي استغرقوها في صنع وعمل الرسول ، ليسخر من أهل النجع جميعا .

ومنها أيضا قول الراوي ساخرا من مستجاب الثالث ، وضعفه الجنسي :

(وظل الثالث في خلوته يوما أو يومين أو ثلاثة او خمسة) (٥).

فبين لنا عدم الدقة في تحديد المدة التي قضاها مستجاب الثالث في خلوته مع امرأة الجنوب ، لينال من مستجاب الثالث .

ومنها أيضا قول الراوي :

---

(١) محمود السعدني ، خوخة السعدان ، ص ١٥.
(٢) نجيب الكيلاني، الكابوس ص ١٢٢.
(٣) محمد مستجاب ، قيام وانهيار ال مستجاب ص ٩٢.
(٤) المصدر السابق ، ص ٩٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٥.

(على مر عشرات ومئات وملايين السنين أصبح الشغل جزءا من التكوين العضوي)[١]. ومنها قوله ساخرا :

(نبتت الفكرة خلال الدهور الطويلة) [٢].

- **مفارقة من خلال الأساليب البلاغية كـ (السجع – تأكيد المدح بما يشبه الذم – المقابلة - الطباق – المفاجأة)**

مفارقة من خلال السجع ، كقول الراوي ساخرا :

(كان الخامس قوياً كنملة ، ضعيفاً كبقرة ، إذا شرب عب ، وإذا وقف شب وإذا غضب صب) [٣].

فقد استعان بالسجع ؛ ليسخر من مستجاب الخامس بوصفه بهذه الصفات القبيحة .

مفارقه من خلال تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كقول الراوي ساخرا من مستجاب الخامس:

(الخامس هو خير أهله جميعاً : وإن كان قد شكا – بعد ذلك – من ضعف ألم ببصره فقد ظل قلبه جديداً ومن تنميل أصاب ركبته اليسرى دام عقله ناصعاً)[٤].

- **مفارقة من خلال الطباق :**

كقول الراوي ساخرا من وضع الزعيم ، والسجان الصغير ، ومن علي شاكلتهم من أبناء المجتمع :

(نحن الأشقياء الأدنياء هم يصلون إلى المنصة ونحن نزحف) [٥].

وكقوله ساخرا من حسان :

(لقد مات وفي جيبه زجاجة ويسكي وفي الجيب الآخر مصحف صغير)[٦].

وكقول الراوي ساخرا من حجاج :

---

(١) يوسف إدريس ، اقتلها ، ص٣٥.
(٢) محمد مستجاب ، قيام وانهيار آل مستجاب ، ص ٢١.
(٣) المصدر السابق، ص٢٢.
(٤) محمد مستجاب، قيام وانهيار آل مستجاب، ص٢٣.
(٥) نجيب الكيلاني، الكابوس، ص٩.
(٦) نجيب الكيلاني ، الكابوس ،ص٥١.

(بينما أعاد للحديقة صباها فقد هو صباه) [١].

- **مفارقة من خلال المقابلة :**

كقول الراوي ساخرا من الوضع السياسي آنذاك :

(نحن طائفة من مشوهي الحرب الصلحاء هم بلهاء زماننا والعابثون هم ملوك ليلة) [٢].

فيقول الراوي ساخرا من وضع الشعب المصري آنذاك :

(داخل السرادق تصطف الحكومة المصرية الفاخرة ، وخارج السرادق يحتشد الشعب المصري غير الفاخر) [٣].

- **مفارقة من خلال المفاجأة :**

كقول الراوي ساخرا : (لقد أوشكت أن أؤمن بأن جرمتي الأساسية هي الفضيلة)[٤].

ومنها أيضا قول الراوي ساخرا :

(قال لي والدها في التليفون لقد أقنعت ليلى فحملت التميمة في حقيبتها وتوجهت إلى الكوافير لتعود إليك في أتم زينتها ... وبفضل هذه التميمة احترق شعرها تماما عند الكوافير وأصبحت صلعاء)[٥].

ومنها أيضا قوله ساخرا:

(ومفيش البوليس ينافش مندوب الوزارة الذي حضر خصيصاً من العاصمة ليشرف على الحملة في فوائد الأرانب) [٦].

فمن خلال النماذج السابقة كنا نتوقع حدوث عكس ما جاء به الراوي ، فإذ بنا نفاجأ بما أخبر وجاء به ؛ لإحداث المفاجأة .

- **مفارقة من خلال الحدث :**

(١) يوسف إدريس، اقتلها، ص٦٧.
(٢) نجيب الكيلاني، الكابوس، ص٩٨.
(٣) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ، ص ١٢١.
(٤) نجيب الكيلاني ، الكابوس ،ص١٨٩.
(٥) أحمد رجب ، الحب وسنينه ، ص ١٣٦.
(٦) محمود السعدني ، خوخة السعدان ، ص٦١

وهذا ما حدث مع (السيد أحمد السيد) حينما هددته (الأخت الصغرى) بطردها إيه ، فقال الراوي معبرا عن هذا :

(هنا صرخت الأخت الصغرى قائلة بأنها ستطرد السيد أحمد السيد)[١] ، لكن مع تقدم أحداث القصة تجد أن هذا لم يحدث ولم يقع .

وحدث هذا أيضًا مع (سهيلة) التي ظلت لا تضع أحمر شفاه ، ولا ترتدي أي فستان أحمر ؛ بسبب زوجها ؛ لكرهه لهذا اللون ، ولكن مع تقدم أحداث القصة ، تبحث في جيب زوجها ، فتكتشف أن به منديلاً كله أحمر شفاه ، وعندها تصاب بالجنون ، فقال الراوي معبرا عما حدث :

(وبينما أنا سارح مع خواطري شد انتباهي فستان أحمر ترتديه إحدى المدعوات كيف سيواجه الدكتور يسري هذا الموقف ؟

استفسرت عن كيفية حل هذه المشكلة فقيل لي أن يسري لن يأتي .

لماذا ؟

مسكينة سهيلة زوجته أصيبت بجنون اللون الأحمر هذه السيدة العاقلة أيضاً ؟؟ كيف ؟؟

ضبطت في جيب يسرى منديلاً كله احمر شفاه) [٢].

فاتخذ هؤلاء الكتاب من المفارقة وسيلة للسخرية من كل شئ حولهم .

- **المبحث الرابع: التناص :**

هو أحد المفاهيم التى قدمت فى نهاية الستينات من القرن العشرين ، وكانت جوليا كريستيفا أول من طرحت هذا المصطلح حين عرفته بقولها (أنه أحد مميزات النص الأساسية التى تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أومعاصرة لها فهى نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص نصوص ، وفى الوقت نفسه عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا) [٣].

وهذا يعنى إنفتاح النص الأدبى على تجارب فنية سابقة، وتظهر أهميته فى (تكثيف البناء وفى قدرتة على تحريك مخيلة القارئ) [٤].

---

(١) يحيي الطاهر ، الأعمال الكاملة ، ص ١٨٩.

(٢) أحمد رجب ، الحب وسنينه ، ص ١٢٦.

(٣) جوليا كريستيفا ، علم النص ،تر: فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٩٧م ، ص ٧٨,٧٩.

(٤) على جعفر، الشعر والتلقي دراسات نقدية ،دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٧م ، ص ١٣٣. .

والكاتب (لا ينطلق من فراغ فى كتابة النص ، بل يكتب ووراءه تراث ضخم يأخذ منه ما يشاء) [1].

ولقد كان له حضورا ملحوظا فى المجموعات القصصية ، حيث تحول إلى أداة ساخرة ، فوظفوا النصوص الدينية والأدبية كما وظفوا الأمثال العامية .

أولا : التناص الدينى

اعتمد الكتاب على توظيف النص الدينى فى كثير من قصصهم ، فتوظيف النصوص الدينية يعد (من أنجح الوسائل ؛ وذلك لخاصية جوهرية فى هذه النصوص تلتقى مع طبيعة الشعر نفسه وهى أنها مما ينزع الذهن البشرى لحفظه ومداومة تذكره ، فلا تكاد ذاكرة الإنسان فى كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا)[2].

والنص الديني هنا متمثلا في (القرآن الكريم - الأحاديث الشريفة – الأقوال المأثورة عن صاحبة رسول الله (صلي الله علية وسلم) ، ورضى الله عنهم جميعا ، وهنا لن نذكر سوى النصوص التي جاء بها الكتاب من أجل السخرية ، أما النصوص الأخرى فلا مجال لذكرها هنا، فما يهمنا هنا النصوص الساخرة.

- **القرآن الكريم:**

لقد أكثر هؤلاء الكتاب من الاعتماد علي نصوص القرآن الكريم بالاقتباس المباشر ، أو بالتحريف بعض الشئ في النص القرآني تحريفا أسلوبيا يسيراً ليساير النص المتناص به السياق الجديد ، وتارة نجد استلهام روح النص فقط .

فالراوي تناص مع القرآن الكريم ، وبخاصة قصة سيدنا سليمان عليه السلام حين قال ساخرا :

(حتي كان صباح جاءه عفريت من الجن وقالها له صريحة وهو يضطرب إمرأة جميلة شامخة تعيش في الجنوب تفخر بأن مخلوقا من إنس أو جن ما تمكن من إشباعها هي ملكة بلقيس النمل أو النحل ؟ بل هي من الإنس ... هل

([1]) جمال مباركى التناص وجمالياته فى الشعر العربى المعاصر، د.ط، طبع بمطبعة دار هومه، الجزائر، د.ت، ص ٢٣١.

([2]) صلاح فضل انتاج الدلالة الادبية قراءة فى الشعر القص والمسرح هيئة قصور الثقافة القاهرة ص٩٣.

أتيك بها نائمة علي فراشها المعطر الفواح بالأريج أم تسافر إليها ريحا صرصرا عاتية فتداهم قصورها وريشها وبساتينها وحورياتها ومداخل لذاتها)[١].

فالنص السابق يتقاطع ويتناص مع قوله تعالي " قَالَ قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ومَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ومَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)" (سورة النمل الآيات ٣٩-٤٠) .

يلتقي هذا المقطع السابق مع الآية الكريمة في طلب الإتيان بالمرأة وعرشها ، ولكن يختلفان من حيث الغرض ، ففي الآية الكريمة أراد سيدنا سليمان الإتيان ببلقيس ؛ لتدخل هي وأهل سبأ في دين الله ، أما في المجموعة القصصية أتي بها ؟ ليُظهر ويبين فحولته ورجولته أمام هذه المرأة (إمرأة الجنوب) ، التي ادعت بعدم مقدرة أحد من الرجال من التمكن منها، ولما لم يفلح لكونه فاقدا لرجولته كانت السخرية، إذا أنه أتي بهذا النص القرآني لخدمته، في النيل من مستجاب الثالث ، والتعريض به .

وكذلك تناص الراوي مع القرآن الكريم في قوله:

(أيها الناس... أمرنا الله باتباع طريق الخير.. والبعد عن طريق المعصية، ومن يعمل منكم مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.)[٢].

فجاء بهذا النص القرآني (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ (٨)) . سورة الزلزلة الآيتان ٧,٨ .

ليسخر من هؤلاء المساجين ، ويحثهم على ترك أفعالهم المشينة ، إذ أنهم جعلوا من السجن مكانا للمتاجرة بالمخدرات وللرشاوي وللعب القمار .

كما تناص "الراوي مع القرآن الكريم في قوله (لابد أن تسأل نفسك قبل أن يسألوك .. فلا مجال للكذب هنا .. سوف تشهد عليك يداك ورجلاك وعيناك وأذناك ..)[٣].

---

(١) محمد مستجاب ، قيام وانهيار آل مستجاب ، ص ١٠٨.
(٢) محمود السعدني ، خوخة السعدان ، ص ١٠٤.
(٣) نجيب الكيلاني، الكابوس ، ص١٣ .

فهذا يتناص مع قوله تعالي (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصَارُهُمْ وجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة فصلت، الآية ٢٠)

ليسخر من "الزعيم" ، ومن أفعاله المشينة التي ارتكبها في السابق ؛ وليحثه على ترك هذه الأفعال المشينة .

وتناص الراوي مع القرآن الكريم ، حين قال :

(إنني أبحث عن عمل إضافي رغم كبر سني ، أسعى في مناكبها كما يقولون ؛ لأزيد دخلي من أجل مستقبل أولادي ، أحرم نفسي من كل شيء لأدفع لهم مصاريف الجامعة وأثمان الكتب ، الأسعار غالية كما تعرفون ، إنني لا أشتري لنفسي ما يستحق أمثالي للمحافظة على مظهرهم أمام الناس) [١].

فهو يتناص مع قوله تعالى : (هُوَ الَذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وإِلَيْهِ النُّشُورُ) (سورة الملك آية ١٥).

ليؤكد على وضع الموظف المتردي في ذلك الزمن ، الذي يجوب الأرض طولا وعرضا من أجل توفير لقمة العيش ، وحياة أفضل لأبنائه ، وليسخر من واقع البلد المتردي آنذاك ، الذي جعل هذا الرجل يبحث عن عملٍ آخر رغم كبر سنه ؛ ليفي بحاجة أبنائه .

ويوجد العديد من الآيات القرآنية ، ولكن لم يأتوا بها لغرض السخرية .

- **الأحاديث النبوية الشريفة:**

لم يكن تناص هؤلاء الكتاب مع نصوص الحديث بنفس الكم الذي لوحظ في تناصاتهم مع القرآن الكريم ، ولعل مرجع ذلك إلي(أن نصوص القرآن أكثر شهرة ، ومن ثم فهي أكثر دورانا علي ألسنة الناس الذين من بينهم تخرج القصة ، وعلى ألسنتهم يجري حوارها ، وكاتب القصة مطالب بمحاكاة شخوصه وبيئاتها وثقافاتها في مستويات السرد جميعا ، ومن بينها التناص) [٢].

ومن أمثلة ذلك قول "واعظ الليمان" مخاطبا المسجونين ومسئولي السجون بنبرة حادة وصوت عال، قائلا: (أيها الناس كل عمل ابن آدم لنفسه إلا

(١) أحمد الشيخ ، كشف المستور ، ص ٢١.

(٢) حامد أحمد محمد الشيمي ، القصة القصيرة في أدب يوسف جوهر (دراسة في خصائص الأسلوب)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١١م ، ص٣٦٢.

الصيام فهو لي وأنا أجزي به والصيام دواء لمرض التخمة ولا شعاركم بما يلقاه المحرمون من إخوانكم في الانسانية فتعطفون عليهم وتحسنون إليهم)[١].

فهذا يتقاطع ويتناص مع قول رسولنا الكريم (الله كل عمل ابن ادم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم) [٢].

فأراد "القاص" من وراء تناصيه مع الحديث الشريف أن يوجه رسالته لمسئولي السجن ، وليست للمساجين ؛ ليتخلصوا من التخمة التي صاروا فيها بالصيام ، وحتى يشعروا بمن دونهم من المحرومين.

كذلك تناص الراوي العليم مع الحديث الشريف حين قال :

(وقد أخذ سيل المجاذيب يتدفق وراء المحمل وانطلقت الزغاريد وتعالت المزامير والطبل البلدي وأضحي الموكب أشبه بزفة راقصة واتخذ زعرب مكانه وسط المجاذيب وبدأ في الرقص والصياح عندما مر بذهنه فجأة قول الرسول : إني مباه بكم الأمم يوم القيامة وتلفت حوله فاحصا وحاول أن يجد فيما حوله شيئا يستحق أن يباهي به الرسول ثم هز رأسه مشككا ، وقال لنفسه : أشد ما أخشى أن نخذلك يا رسول الله)[٣].

فهذا يتناص مع قول رسولنا (صلى الله عليه وسلم) : (تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة)*.

فالمقصود من معني الحديث أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيتباهى يوم المشهد العظيم بأعمالنا الصالحة ، وليس بكثرتنا ، ولما اختلف الهدف وجدت السخرية إذا كيف يتباهي رسولنا الكريم بهؤلاء البشر، وكل همهم صار الالتفاف حول مثل هذه الأضرحة والمقامات للرقص وتحقيق المتعة . وكقول أبو نجية ردا على الرجل العجوز: (أنا اتجوز ؟ ليه اتجننت ؟

---

(١) محمود السعدني، خوخة السعدان ، صـ ١٠٥.
(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، دار البيان الحديثة ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٤١٥.
(٣) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ، ص ١٢٥.
* رواه الامام الشافعي عن ابن حبان ، واختلف في صحته ، فبعضهم صعفه .

بعد اللي شفته من أم قويق .. اتجوز تاني !! يا اخي دول بيقولوا .. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .. وانا مش مؤمن .. إلا في الحكاية دي بالذات)[1].

فهو يتناص من قول النبي (ﷺ) (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)[2].

فأجراه هنا مجرى المثل ، وأتى بهذا الحديث ، ليسخر من زوجته (أم نجية) وأفعالها السيئة .

كما وجدت أحاديث أخري ولكن لم آت بها ؛ لكونها لم تحقق معنى السخرية .

- **الأقوال المأثورة:**

كل ما ورد عن السلف الصالح من أقوال، ومن ذلك قول الراوي:

(سمعت الصوت "الجبل يا سارية .. الجبل"

ورأيت طائرة العدو تطير، وتكرهني، دمرت بيتي بقنبلة، ودمرت قلبي بقنبلة، ورمت قلب محبوبتي بقنبلة- وكنت قد سمعت الصوت) [3].

فهذا يتناص مع قول سيدنا عمر (الجبل يا سارية الجبل) ؛ ليسخر من العدو ، ومن أفعاله المشينة بتدميره للبيوت ، وقتله للأشخاص الأبرياء .

ومن ذلك أيضاً قول الراوي ساخرا :

(حينما تساءل بعض الناس عن مرض عبدالله السروجي رد حلاق القرية قائلاً:

"يصعب في هذا الزمان، وفي هذه القرية بالذات تشخيص أي مرض ، والسبب في ذلك أن الأمراض الكثيرة تختلط في جسم الفلاح .. لكن يظل دائماً الداء الأساسي هو الفقر .. فقر الدم ، ويهز قارئ القرآن الأعمي قائلا :

مما روي عن سيدنا الإمام علي قوله لوكان الفقر رجل لقتلته)[4].

---

(1) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ، ص١٨١.
(2) البخاري ، صحيح البخاري، دار البيان الحديثة ، ج١٩ ، ط١ ، ٢٠٠٣م
(3) يحيي الطاهر، الأعمال الكاملة ، ص٢٣٠.
(4) نجيب الكيلاني، الكابوس، صـ ١٣٨.

فقد اقتبس وتناص مع قول سيدنا علي (رضي الله عنه) (لو كان الفقر رجلا لقتلته) ؛ لكون "الفقر" كان سبباً وراء موت (عبد الله السروجي) ذلك الرجل الفقير الذي لا يجد قوت يومه؛ وليسخر من وضع الفلاح الفقير في بلادنا.

ثانياً: التناص الشعري:

من المعرف أن التراث الشعري مادة يهتم الأدباء بتحصيلها ، وهي لذلك مادة تلح علي الذاكرة، مما تستدعيها المواقف المتشابهة، لكن هؤلاء الكتاب لم يلجأوا إليه إلا قليلا ، وجاء مرة واحدة فقط ، للسخرية بتضمين شطر البيت ، في قول الراوي ساخرا :

(وأما العينان فمن الجور أن نسميها عينين ، فهما لا تعدوان أخدودا أكثر عمقا يتمم أخاديد الجبين ، ولولا ارتجاف في الجفن بين آونة وأخرى، ولولا تعودنا أن نجد عينين في هذا المكان من الخلقة الآدمية، لما اعترفنا بعيني الرجل، ولما أحسسنا لهما وجوداً، أما وقد توقفنا أمامهما، واعترفنا بوجودهما "فليس هناك بد من التمعن فيهما، والتحقق من أوصافهما الرموش أو بقايا الرموش دائماً مسبلة... والجفون مغلقة مطبقة... فإذا ما فتحت دفعت إلى الذهن قول "شوقي" "مقروح الجفن مسهدة") [1].

فسخر الراوي من جفنا الشيخ زعرب، وزاد هذا الشطر للشاعر "أحمد شوقي" المعنى وضوحاً وسخرية من هاتين الجفنتين .

ثالثا: الأمثال العامية

أكثر هؤلاء الكتاب من الاعتماد علي التراث متمثلاً في الأمثال التي تدور علي ألسنة الناس علي اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافاتهم ، ولعل هذه الكثرة في الاعتماد علي المثل أمر طبيعي داخل القصة خاصة أن مادة القص تدور حول الناس أنفسهم ، وما يعتريهم من تقلبات وأحداث ، وطائفة الأمثال التي استعان بها هؤلاء الكتاب يقع أغلبها باللفظ العامي .

ومن الأمثال التي أتي بها هؤلاء الكتاب للتأكيد علي معني السخرية ، ما جاء علي لسان الراوي ساخرا من أحمد عمر :

---

(1) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ، ص ١١٨ ، هذا البيت (حيران القلب معذبه ... مقروح الجفن مسهده) ، الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات) ، أحمد شوقي ، ج٢، بيروت ، دار العودة ، ط١، ص ١٢٢.

(وكان إذا جاء لزيارتنا وفتح له الباب خفض رأسه وسأل عن أخي فإذا كان موجوداً دلف إلي حيث يكون مطرق الرأس لا يرفع بصره ولا يتلفت، وكنت أحياناً ألقاه فأحدثه وأحس به شهماً خدوماً.

لو قلت له: ارم نفسك في البحر مثلا، لذهب ورمي نفسه في البحر فعلاً ثم عاد إليك في ثاني يوم مبتل الملابس يقطر الماء من شعره ويقطر الخجل من وجهه ويقول:

- **أما المية كانت ساقعة بشكل)[1].**

فأتي الراوي بهذا المثل هنا ؛ ليزيد من سخريته من "أحمد عمر" ذلك الشاب ضعيف الشخصية الذي يفعل ما يطلب منه دون مراجعة.

ومن ذلك أيضا ما جاء علي لسان "عويس" ساخراً من "الشيخ مبارك" ومن أفعاله ، قائلاً:

(وقام عويس وتفرس في وجه الشيخ مبارك لحظة وهو يعض علي نواجذه ثم قال في غيظ مكتوم:

- **برضك دا اللي أنا عامل حسابه، سكتناله دخل بحماره بقي اسمع اما اقول لك .. هي زرع والا ضرب دي اللي حتجيب القليعة .. ياخي بناقص زرع وضرب)[2].**

فأتي بهذا المثل ؛ ليؤكد لنا علي سخريته من "الشيخ مبارك" .

ومنه ما جاء علي لسان "جمعه أفندي" ناقما علي وضعه وما حدث معه ، عندما أراد أن يتزوج من (زكية هانم)، فإذ بها تتحول إلي "زكي بك" :

(وأجاب جمعه وهو يهز رأسه أسفا:

ولا قبلين .. قليل البخت يلاقي العضم في الكرشه)[3].

فأتي بهذا المثل ، ليبدي أسفه وحزنه على وضعه .

ومنه أيضا ما جاء علي لسان الراوي ساخراً من حسن أفندي بإقدامه علي الزواج من "زكية صاحبة الأخلاق السيئة :

---

(1) يوسف إدريس ، اقتلها ، صـ١٠٣.
(2) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون ، صـ ٢٣٩
(3) المصدر السابق، صـ٢٥٣

(وهكذا اتضح في النهاية أن صاحبنا الغبي قد أتي ليطلب القرب من أم زكية ، ودهشت وأصابني حنق علي الرجل ، فقد كنت أعلم أن القرب من أم زكية وزكية شئ غير مأمون العاقبة وأن البعد عنهم كما يقول المثل غنيمة)[١].

فأتي بالمثل ؛ ليشكك في أخلاق (زكية وأمها) ، وليسخر منهما ، ومن أفعالهما .

ومنه قول أم ميدو قلب الأسد واصفه إياه :

(فقد كان شديد البهدلة دائم العراك ، وكان نموذجاً للشقاوة الصبيانية ، أو كما كانت تصفه أمه "معجوناً بمية العفاريت")[٢].

فجيء بهذا المثل الذي وصفت به أم (ميدو) ابنها (ميدو) ؛ للتأكيد علي شقاوة هذا الولد وللسخرية منه ، ومن أفعاله السيئة التي لازمته مع تقدم أحداث القصة.

ومنه أيضاً ماجاء علي لسان "نجية" ، قائلة :

(وتساءل في خجل:

أين الأرنب ؟

طأطأت نجية رأسها وقالت:

انت تعرف اليد قصيرة والعين بصيرة) [٣].

فجيء بالمثل ليؤكد لنا علي وضعهم المزري ، وساخرا من سلبيتهم .

ومنه أيضا ما جاء على لسان زميل لـ (قدرية وأحمد) :

(غريبة .. لست أدرى كيف اختارتك قدرية ؟! لا شك أنها مجنونة ، والطيور على أشكالها تقع) [٤].

فأتى بهذا المثل ، ليسخر من قدرية وأحمد .

وغيرها من الأمثال العامية ، التي جاء بها ؛ ليؤكد على الوضع المزري لهؤلاء البشر؛ وليسخر منهم ، ومن أفعالهم .

---

(١) يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون، ص ـ١٣٨

(٢) المصدر السابق، ص٢٠١.

(٣) نجيب الكيلاني ، الكابوس ، ص ١٢٩.

(٤) المصدر السابق ، ص١٧٥.

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول بأن هؤلاء الكتاب:

- **وظفوا الأساليب البلاغية الساخرة من استفهامٍ وأمرٍ وتكرار، ووظفوا الصور البلاغية من تشبيه واستعارة كما استخدموا بعض الظواهر الأسلوبية؛ لينالوا من الشخصيات القابعة في هذا المجتمع آنذاك ومن الواقع المعيش.**
- **وظفوا الموروثات وتواصلوا بالتراث من خلال كتاباتهم فوجد التناص الديني والشعري والتناص بالأمثال وجعلوها طريقة للسخرية من خلال ما أرادوا السخرية منه.**

التوصيات:

- **توصي الباحثة بضرورة عمل المزيد من الأبحاث المتعلقة بالجوانب البلاغية لإسراء مكتبة كلية الآداب.**
- **كما توصي الباحثة بضرورة عمل أبحاث تتعلق بالظواهر الأسلوبية حتى يتسنى دراستها وتكون متاحة لجميع الباحثين فلا يجد الباحثون صعوبة بعد ذلك في دراسة مثل هذه الظواهر خاصة التناص.**

المصادر والمراجع

- **ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، ط٢ ، القاهرة ، دار نهضة مصر.**
- **أحمد الشيخ، كشف المستور، دار المعارف، ١٩٨٤م.**
- **أحمد بهجت، ثانية واحدة من الحب ، دار أخبار اليوم ،٢٠٠٠م**
- **أحمد رجب، الحب وسنينه ، دار أخبار اليوم ، ٢٠٠٠م .**
- **الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات)، أحمد شوقي، ج٢، بيروت، دار العودة ، ط١.**
- **البخاري، صحيح البخاري، دار البيان الحديثة، ط١، ٢٠٠٣م.**
- **جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر العربي المعاصر، د.ط، طبع بمطبعة دار هومه، الجزائر، د.ت.**

- جوليا كريستيفا ، علم النص ،تر: فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ،ط٢، ١٩٩٧م .
- حامد أحمد محمد الشيمي ، القصة القصيرة في أدب يوسف جوهر (دراسة في خصائص الأسلوب)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١١م
- حسن البنداري، لعبة الضمائر، دراسات في النص القصصي من عام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٩٦م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١م.
- خالد سليمان، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث اليرموك، مج٩، ع٢، الأردن، ١٩٩١م.
- الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة ، تحقيق لجنة أساتذة اللغة العربية في جامع الأزهر ،القاهرة المطبعة المحمدية للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
- دي سي ميويك ، المفارقة وصفاتها، تر: د. عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، بغداد :دار المأمون للنشر، د.ت .
- سعد الدين التفتازاني ،مختصر السعد على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ، بيروت ، دار الكتب العلمية.
- السكاكي، مفتاح العلوم، القاهرة، دار الكتاب، ط٣.
- سيزا قاسم، المفارقة في القصص العربي المعاصر، مجلة فصول، ع٢، مارس ١٩٨٢م.
- الشريف علي محمد الجرجاني، التعريفات، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ه.
- صالح بن عبد الله الخضيري ، المفارقة في النثر العباسي ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها ع٩ ، نوفمبر ٢٠١٢م
- صلاح فضل، انتاج الدلالة الادبية قراءة فى الشعر القص والمسرح ، القاهرة : هيئة قصور الثقافة.
- عادل عوض، تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.

- عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، شرح عقود الجمان، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٢، ١٣٧٤ه.
- عبد اللطيف خروبة، وظيفة الحلم والسخرية في القصة العربية القصيرة، مجلة الوعي الإسلامي، ع٥٥٩، ٢٠١٢م.
- عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية .
- على جعفر، الشعر والتلقي دراسات نقدية ،دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٧م
- علي عشري ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ٢٠٠٨، ط٥.
- غازي يموت ،علم أساليب البيان ، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت : لبنان، ١٩٨٣م.
- محمد العبد ، المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.
- محمد محمد أبو موسي ، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة .
- محمد مستجاب ، قيام وانهيار آل مستجاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٨.
- محمد نجيب الكيلاني، الكابوس، ط٣،بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤م.
- محمود السعدني، خوخة السعدان، القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.
- نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق ، (سلسلة الدراسات النقدية)، القاهرة : منشورات دار غريب ، د.ت.
- يحيي الطاهر عبد الله، الأعمال الكاملة القصصية ، الرقصة المباحة ، مقدمة جابر عصفور ، ط٣، مكتبة الأسرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠ م.
- يوسف إدريس، اقتلها، مكتبة مصر، ١٩٨٢م.
- يوسف السباعي ، الشيخ زعرب وآخرون، موقع القصة السورية، ١٩٥٢م.